لعنة الوحدة

«تيك توك، تيك توك».

هكذا ضَربت عقارب الساعة معلنةً الوحدة، ومن ثَم أعلنتُ الاستسلام لها بالكامل، سجنٌ أقحموني فيه وسجنٌ آخر صنعته بيدي لنفسي، ولكن سجني الداخليّ وحكمهم عليّ هو أصعب من ذلك المتواجد فيه، لا أعلم لمَ يفعلون بي هكذا؟، لمَ يلقون بي مُر ما راوهُ ويُحاكموني أنا!، لمَ يلقون ذمامَ أمري في بئرٍ شديدة الظلمة والبُعد؟، أسأظلُ أتساءل هكذا كمجنونٍ يحدثُ نفسه من أثر صدمته! لا، لن أفعل ذلك، لمْ أجن بَعْد، فأنا بتمام قواي العقلية، ولكن.. ولكنه الخُذلان، أقسم أن فعلتي ما كانت إلا لرؤيتهم بخير، وإلا لأرى سعادتهم تحوم الكون كلهُ، أُجاهد أنا في سبيل ضحكتهم التي تُنير ظلام قلبي الداكن، أُضيء لهم أصابعي العشر شمعًا لأُنير لهم دربهم الذي ظلوا يمشون بهِ وحدهم دون مُرافقتي، بدوني، أنا أتألم بوجودي في هذا السجن، أُعاني من ظلمهم المُعتاد لي، سجنهم الذي ألقوني به، ليس أعظم من سجني الخاص الذي وضعت نفسي فيه وليس هم، نعم، أنا من تركت نفسي في سجني الخاص، فَبوفائي المستمر لهم وتغاضيٰ فعلهم وأعمالهم التي تبني دائمًا

بداخلي أسوارًا وأسوار من البُعد وتسبب الأذى، أُعاني من فعلتي أكثر من تواجدي في سجنِ واقعهم الخسيس هذا، ولكن كما قال سيدنا يوسف عندما اتهمته امرأة العزيز بأنه هو من تَعدى عليها بفعل السوء والخزي، ولم يرَ وقوف العزيز معه، الذي تولى تربيته مُتبينًا إياه من صغره، ويعلم أن الله الذي لا يخفى عليه شيء في الأرضِ ولا في السماء، قال: «قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ». (٣٣).

ولكي لا أكُن من الجاهلين سوف أتجنب رفقتهم والبُعد التام عنهم، لعلىٰ ذلك الأمر يُسعدهم ويتفهموا فعلتي، ويخرجوني من غياهب سجنهم هذا، وأُعالج أنا حبي الكبير ووفائي لهم أيضًا، بذاتي، وأخرج من سجني الذي وضعتني فيه.

ومن ثَمْ تُعاد تكرار صوت الساعة المُمل ذاك، ولكنه الوحيد الذي يُخاطِبُني في وحدتي هذة.

«تيك توك، تيك توك...» إلى ما لا نهاية لها، وبلا وقوف.

***